

من وصايا الإمام الباقر عليه السلام لأصحابه عليك بالدعاء لإخوانك بظهر الغيب فإنه يهيل الرزق

إعداد: «هيئة التحرير»

مقتطفات من وصايا الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام لخواص أصحابه كجابر الجعفي، وحرمان بن أعين، وأبي النعمان العجلي، وعمرو بن خالد أوردتها أمهات المصادر الحديثية كـ«الكافي للكليني»، و«تحف العقول» لابن شعبة الحراني، و«الأمالي» للشيخ الطوسي، و«الأمالي» للشيخ المفيد وغيرها.

* عن حرمان بن أعين قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله، وإيّاك والمزاح فإنه يذهب هيبة الرجل وماء وجهه، وعليك بالدعاء لإخوانك بظهر الغيب فإنه يهيل الرزق». يقولها ثلاثاً.

* عن خيثة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام أودعه فقال: يا خيثة أبلغ من ترى من موالينا السلام، وأوصهم «..» أن يشهد حيّهم جنازة ميتهم وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن لقياً بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.

* عن أبي النعمان العجلي قال: قال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام: يا أبا النعمان، لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفة. يا أبا النعمان، لا تستأكل بنا الناس فلا يزيدك الله بذلك إلا فقراً. يا أبا النعمان، لا ترأس فتكون ذنباً. يا أبا النعمان، إنك موقوف ومسئول لا محالة، فإن صدقت صدقتك وإن كذبت كذبتك. يا أبا النعمان، لا يغرّك الناس عن نفسك فإن الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطعن نهارك بكذا وكذا، فإن معك من يحفظ عليك، وأحسن، فلم أر شيئاً أسرع دركاً ولا أشد طلباً من حسنة لذنب قديم.

* يا جابر: اغتنم من أهل زمانك خمساً: إن حضرت لم تُعرف، وإن غبت لم تُفتقد، وإن شهدت لم تشاور، وإن قلت لم يُقبل قولك، وإن خطبت لم تزوج. وأوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كذبت فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن دُمت فلا تجزع. «..».

* «..» فأنزل نفسك من الدنيا كمثل منزل نزلته ساعة ثم ارتحلت عنه، أو كمثل مال استفدته في منامك ففرحت به وسررت ثم انتبهت من رقدتك وليس في يدك شيء، وإني إنما ضربت لك مثلاً لتعقل وتعمل به إن وفقك الله له، فاحفظ يا جابر ما أستودعك من دين الله وحكمته «..».

* «..» يا جابر أنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة «..».

* «..» عن جابر، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام ونحن جماعة بعدما قضينا نسكننا، فودعناهم وقلنا له: أوصنا يا ابن رسول الله، فقال: ليُعن قوئكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه، واكتموا أسرارنا ولا تحملوا الناس على أعناقنا «..».

* «..» يا جابر، الدنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال «..».

يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد، يريد الخير، يبلغه الخير يؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا.

* «..» وإن أحسن الناس فعلاً من فارق أهل الدنيا من والد وولد، ووالى ووازر وناصر وكافاً إخوانه في الله وإن كان حبشياً أو زنجياً «..».

* عن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد، كونوا التُّمْرَةَ الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي. فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جُعِلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم

احتجاج الإمام الباقر على ابن الأزرق

واختصنا بولايتيه. يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار: من كانت عنده منقبة لعلي بن أبي طالب فليقم وليتحدث. فقام الناس فسردوا تلك المناقب.

فقال عبد الله: أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء، وإنما أحدث علي الكفر بعد تحكيمه الحكّمين. حتى انتهوا إلى حديث خبير لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. فقال أبو جعفر عليه السلام: ما تقول في هذا الحديث؟ قال: هو حق لا شك فيه ولكن أحدث الكفر بعد.

فقال له أبو جعفر: ثكلتك أمك، اخبرني عن الله عز وجل أحبّ علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ فإن قلت لا، كفرت. فقال: قد علم، قال: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال: على أن يعمل بطاعته، فقال له أبو جعفر: فقم مخصوصاً. فقام وهو يقول ﴿...حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾، ﴿...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾.

(السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٢/ ٤٩٦-٤٩٧)

كان عبد الله بن نافع بن الأزرق -وهو من الخوارج- يقول: لو أنّي علمت أنّ بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أنّ علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلتُ إليه. فقيل له: ولا ولده؟

فقال: أفى ولده عالم؟ فقيل له: هذا أول جهلك! وهم يخلون من عالم؟ قال: فمن عالمهم اليوم؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي. فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة، فاستأذن على أبي جعفر، فقيل له: هذا عبد الله بن نافع.

قال عليه السلام: وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن أبي طرفي النهار؟ فقال له أبو بصير الكوفي: جُعِلت فداك، إنّ هذا يزعم أنّه لو علم أنّ بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أنّ علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه، فقال له أبو جعفر: أترأه جاعني مناظراً؟ قال نعم! قال: يا غلام، أخرج فحطّ رحله، وقل له: إذا كان الغد فائتنا. فلما أصبح عبد الله بن نافع غداً في صناديد أصحابه، وبعث أبو جعفر إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم ثم خرج إلى الناس وأقبل عليهم كأنه فلقة قمر، فخطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال: الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته